بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة: 21 ذو الحجة 1434 هـ خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق 2013/10/25م

ضوابط شرعية في فهم ما يدور حولنا من أحداث – 05 – إسوداد القلب

المعاصي والذنوب والآثام هي عوالق القلب وما يخدمه من أدوات

القلب هو أساس النفس البشرية، والجسد وما فيه من أعضاء يعملون على خدمتهما، وأهم هذه الأعضاء (السمع والبصر والأفئدة)، والمعاصي والآثام تتعلق بالقلب وأدواته كما تتعلق الأوساخ بالأشياء المادية، فالوقر يصم الأذن حتى يمنع عنها السمع، والأغشية تتراكم على الأعين حتى تعميها، وتتراكم على الأفئدة حتى تبكمها، وتتراكم على القلب حتى تسوده وتقفله، وليس الوقر والأغشية هي كل مخلفات المعاصي والآثام، فهناك مخلفات آخرى كثيرة، وما سنحاوله هو أن نتعرف على المخلفات التي تصنعها الذنوب والآثام وكيفية تأثير هذه المخلفات على القلب وأدواته.

الغفلة تصنع غيناً حول القلب

يقول الحبيب – صلى الله عليه وسلم (إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) (أخرجه مسلم). قال أهل اللغة: هو بالغين المعجمة، والغين والغيم بمعنى واحد، والمراد هنا الذي يغشى القلب. وقيل الغين لغة الغيم. وفي معنى الغين خلاف بين العلماء رضي الله عنهم.

- فقال بعضهم قد يكون هذا الغين السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى {فأنزل الله سكينته على رسوله} والسكينة هو الوقار الذي هو فقد الحركة ويكون الاستغفار إظهارا للعبودية والافتقار وملازمة الخضوع وشكرا لما أولاه مولاه.
- وقال القاضي عياض: ويحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكراً.

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9
ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول: 972523623683+، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com

- وقيل: كان عليه الصلاة والسلام في ترق من مقام إلى مقام. فإذا ارتقى من المقام الذي كان فيه إلى مقام أعلى استغفر من المقام الذي كان فيه.
- وقيل: الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كالغيم الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس.
- وقيل: هو هَمُّهُ صلى الله عليه وسلم بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم.
- وقيل: المراد فترات الغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً فاستغفر منه.
- وقيل : غين أنوار لا غين أغيار والعدد المذكور في الحديث عدد للاستغفار لا للغين. وروى ابن السني من حديث أبي أمامة مرفوعا {ما جلس قوم في مجلس فخاضوا في حديث واستغفروا الله –عز وجل– قبل أن يتفرقوا إلا غفر لهم ما خاضوا فيه}. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال {الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل}. وقيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال: أمزقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار. وقيل: إنه للذنوب كالصابون لإزالة الوسخ. قال الإمام المحقق ابن القيم: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله يوما–: سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له. وإن كان دنسا فالصابون والماء أنفع له. ثم قال لي: فكيف والثياب لا تزال دنسة.
- وقد جاء في لسان العرب: وغِينَ على قلبه غَيْناً: تغَشَّتْه الشَّهْوةُ، وقيل: غِينَ على قلبه غُطِّيَ عليه وأُلْبِسَ. وغِينَ على الرجل كذا أَي غُطِّيَ عليه. وفي الحديث: إنه لَيُغانُ على قلبي حتى أَستغفر الله في اليوم سبعين مرة؛ أَراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأَن قلبه أَبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإِن عَرَضَ له وَقْتاً مّا عارض بشري يَشْغَلُه من أُمور الأُمّة والمِلَّة ومصالحهما عَدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً، فيَفْزَعُ إِلى الاستغفار؛ قال أَبو عبيدة: يعني أَنه يتَغَشَّى القلبَ ما يُلْبِسُه؛ وكذلك كل شيء يَغْشَى شيئاً حتى يُلْبِسَه فقد غِينَ عليه. وغانَتْ نفْسُه تَغِينُ غَيْناً: غَثَتْ.

نخلص مما سبق أن الغين المقصود في حديث الرسول صلى الله الله عيه وسلم هو غشاء شفاف رقيق يعلو القلب كما يعلو الغيم السماء، ويتكون الغين إما من الإنشغال بمباحات الدنيا كالكلام والضحك والمخالطة أو من الصمت والإنقطاع عن ذكر الله، وهذه صفة بشرية يشترك عليه الصلاة والسلام بجزء منها مع باقي البشر. فإن كان هذا هو حاله عليه الصلاة والسلام أنه (يُغان على قلبه) من المباحات حتى يجد نفسه بحاجة لأن يستغفر الله في كل يوم مائة مرة، فما هو حالنا نحن الضعاف ونحن نذنب ليل نهار، كم نحتاج من إستغفار.

المعاصي تصنع نكاتاً على القلب

والنكتة كالنقطة السوداء في الصفحة البيضاء التي تعكر صفوها وتسودها، ومما جاء في لسان العرب: النَّكْتُ أَن تَنْكُتَ بقَضيبٍ في الأَرْضِ، فتُؤَثِّرَ بطَرَفِهِ فيها. وفي الحديث: فَجَعَلَ يَنْكُتُ قَضيبٍ أَي يضرب الأَرض بطَرَفه. والنَّكْتُ قَرْعُكَ الأَرضَ بعُود أَو بإِصْبَع. وفي الحديث: بينا هو يَنْكُت إِذ انْتَبه؛ أَي يُفَكِّرُ ويُحَدِّثُ نفسَه، وأَصلُه من النَّكْتِ بالحَصى. ونَكَتَ الأَرضَ بالقضيب: وهو أَن يؤَثر فيها بطرفه، فِعْلَ المُفَكِّر المهموم. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: دَخَلْتُ المسجدَ فإِذا الناسُ يَنْكُتُونَ بالحصى أَي يضربون به الأَرضَ. والنَّكِيتُ: المَطْعُون فيه. الأَصمعي: طَعَنَه فنَكَتَه إِذا أَلقاه على رأْسه؛ الجوهري: يقال طَعَنه فنكَتَه أَي أَلْقاه على رأْسه فانْتَكَتَ هو. ومَرَّ الفرسُ يَنْكُتُ، وهو أَن يَنْبُوَ عن الأَرض. وفي حديث أَبي هريرة: ثم لأَنْكُتَنَّ بك الأَرض أَي أَطْرَحكَ على رأْسك. وفي حديث ابن مسعود: أَنه ذَرَقَ على رأْسه عُصْفور فنَكَتَه بيده أَي رماه عن رأْسه إِلى الأَرض. ويقال للعَظْمِ المَطْبوخ فيه المُخُّ، فيُضْرَبُ بطَرَفه رغيفٌ أَو شيءٌ ليَخْرُجَ مُخُّه: قد نُكِتَ، فهو مَنْكُوتٌ. وكُلُّ نَقْط في شيء خالف لَوْنَه: نَكْتٌ. والنُّكْتَة: كالنُّقْطَة. وفي حديث الجمعة: فإِذا فيها نُكْتة سَوْداء أَي أَثر قليل كالنُّقْطة، شِبْهُ الوَسَخ في المرآة والسيف ونحوهما. والنُّكْتةُ: شِبْهُ وَقْرة في العين. والنُّكْتة أَيضاً: شِبْه وسَخٍ في المِرْآة، ونُقْطَةٌ سوداءُ في شيء صافٍ.

- عن أبو هريرة رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقلت قلبه، فإن زاد زادت حتى تغلق قلبه، فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (الدرجة: صحيح، الراوي: أبو هريرة المحدث: ابن جرير الطبري – المصدر: تفسير الطبري – الرقم: 147/1).
- عن حذيفة بن اليمان أنه قال (كنا عند عمر. فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موج البحر. قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا. قال: أنت، لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا. فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء. حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا. فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مربادا، كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. إلا ما أشرب

من مراه". قال حذيفة: وحدثته؛ أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسرا، لا أبا لـــك! فلو أنه فتح لعله كان يعاد. قلت: لا. بل يكسر. وحدثته؛ أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثا لـــيس بالأغاليط) (خلاصة الدرجة: صحيح، الراوي: حذيفة بن اليمان المحدث: مسلم – المصدر: المسند الصحيح – الصفحة أو الـــرقم: **144**)، وفي شرح السنة زيادة (قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك ما أسود مربادا؟ قال: شدة البياض في سواد، قال: قلت فما الكوز مجخيا؟ قـــال: منكوسا).

- عن أنس بن مالك أنه قال (أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال أما في بيتك شيء قال بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتني بهما قال فأتاه بهما فأخـــذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشتري هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقـــال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما فذهب الرجل يحتطـــب ويبيـــع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع) (خلاصة الدرجة: سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهـــو صـــالح]، الراوي: أنس بن مالك المحدث: أبو داود – المصدر: سنن أبي داود – الصفحة أو الرقم: **1641**).
- عن عبد الله بن أنيس الجهني عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن من أكبر الكبائر الشرك بـــالله، وعقـــوق الوالدين، واليمين الغموس، وما حلف حالف بالله يمين صبر، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة، إلا جعلت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة) (خلاصة الدرجة: حسن، الراوي: عبدالله بن أنيس الجهني المحدث: الألباني – المصدر: صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم: **2213**) وفي رواية ثعلبة بن صغير (من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة؛ كانت نكتة سوداء في قلبه لا يغيرها شيء إلى يوم القيامة) (خلاصة الدرجة: صحيح لغيره، الراوي: ثعلبة بن صعير المحدث: الألباني – المصدر: صحيح الترغيـــب – الصفحة أو الرقم: **1838**). فاليمين الكاذبة حتى لو كانت على جناح بعوضة أو مثلها، تنكت على القلب نكتة لا تمحى وتبقى إلى يوم القيامة.

فنكتة القلب هي نقطة سوداء تنشأ وتلتصق عليه كلما عصينا أو أذنبنا ذنبا أو إبتعدنا عن طاعة لله عـــز وجل، وكلما إزدادت معاصينا تراكمت النكات السوداء وإلتصقت بعضها ببعض لتشكل غشاءاً يغلف القلـــب كله، وإن إستمرت معاصينا تراكمت الأغشية بعضها فوق بعض لتشكل غلافاً، ثم تراكمت الأغلفة بعضها فوق

بعض تشكل غطاءاً ثم تراكمت الأغطية بعضها فوق بعض تشكل منها كِناناً ثم تراكمت الأكنة بعضها فوق بعض تشكل في النهاية راناً، والران غلاف سميك جداً يمنع نور القلب من الخروج وإنارة طريق الصراط المستقيم ويمنع نور الآيات من الدخول وتذكر الله.

المعاصي تصنع وقراً على الآذان

مما جاء في لسان العرب: الوَقْرُ: ثِقَلٌ في الأُذن، بالفتح، وقيل: هو أَن يذهب السمع كله، والثِّقَلُ أَخَفُّ من ذلك. وقد وَقِرَتْ أُذنه، بالكسر، تَوْقَرُ وقْراً أَي صَمَّتْ، ووَقَرَتْ وَقْراً. والوِقْرُ: بالكسر: الثِّقْلُ يحمل على ظهر أَو على رأْس. يقال: جاء يحمل وِقْرَه، وقيل: الوِقَرُ الحِمْل الثقيل، وأَكثر ما استعمل الوِقْرُ في حِمل البغل والحمار والوَسْقُ في حمل البعير. وفي حديث عمر والمجوس: فأَلْقَوْا وِقْرَ بَغْلٍ أَو بغلين من الوَرِق؛ الوِقْرُ، بكسر الواو: الحِمْلُ يريد حمل بغل أَو حملين أَخِلَّةً من الفضة كانوا يأْكلون بها الطعام فأَعْطَوْها لِيُمَكِّنُوا من عادتهم في الزَّمْزَمَةِ؛ ومنه الحديث: لعله أَوقَرَ راحلته ذهباً أَي حَمَّلَها وِقْراً. وامرأَةٌ مُوقَرَةٌ: ذاتُ وِقْرٍ. الفراء: امرأَة مُوقَرَة، بفتح القاف، إِذا حملت حملاً ثقيلاً. وأَوْقَرَتِ النخلةُ أَي كَثُرَ حَمْلُها؛ ونخلة مُوقِرَة ومُوقِرٌ وموقَرة ومُوقَر ومِيقار؛ واسْتَوْقَرَتِ الإِبلُ: سمنت وحملت الشُّحُوم؛ وقوله عز وجل: فالحاملاتِ وِقْراً، يعني السحاب يحمل الماء الذي أَوْقَرها. والوَقار: الحلم والرَّزَانة؛ وَقَرَ يَقِرُ وَقاراً ووَقارَةً ووَقَرَ قِرَةً وتَوَقَّرَ واتَّقَرَ: تَرَزَّنَ. وفي الحديث: لم يَسْبِقْكم أَبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكنه بشيء وَقَرَ في القلب، وفي رواية: لِسِرٍّ وقَرَ في صدره أَي سكن فيه وثبت من الوَقارِ والحلم والرزانة، وقوله تعالى: وَقِرْنَ في بيوتكن، قيل: هو من الوَقارِ، وقيل: هو من الجلوس، وأَما قوله تعالى: ما لكم لا تَرْجُونَ لله وقاراً؛ فإِن الفرّاء قال: ما لكم لا تخافون لله عظمة. ووَقَّرْتُ الرجل إِذا عظمته. وفي التنزيل العزيز: وتعزروه وتوقروه. والوَقار: السكينة والوَداعَةُ. ورجل وَقُورٌ ووقارٌ ومُتَوَقِّر: ذو حلم ورَزانَة. ووَقَّر الدابة: سَكَّنَها؛ والوَقير والوَقِيرَةُ: النُّقْرَةُ العظيمة في الصخرة تُمْسِكُ الماء، وفي التهذيب: النقرة في الصخرة العظيمة تمسك الماء، وفي الصحاح: نقرة في الجبل عظيمة. وفي الحديث: التَّعَلُّمُ في الصِّبا كالوَقْرَةِ في الحجر؛ الوَقْرَةُ: النقرة في الصخرة، أَراد أَنه يثبت في القلب ثبات هذه النُّقْرَةِ في الحجر.

يقول عز وجل (وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ). (الأنعام6: 25). ويقول عز وجل (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِم نُفُوراً). (الإسراء17: 46)، ويقول عز وجل (وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ

مَا قَدَّمَت يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِن تَدْعُهُم إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً). (الكهف18: 57)، ويقول عز وجل (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). (لقمان31: 7)، ويقول عز وجل (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَل إِنَّنَا عَامِلُونَ). (فصلت41: 5)، ويقول عز وجل (وَلَو جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً أَعْجَمِياً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَت ءَايَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ). (فصلت41: 44)، وخلاصة هذه الآيات تعني أن الوقر يمنع الهداية والتذكرة وكلام الإيمان وسماع القرآن وكلمة التوحيد لا إله إلا الله.

– يتبع – بإذن الله

www.al-msjd-alaqsa.com